

دمية القصر

وتعجّبني لأليديّتي ... بهواك وهوّ بليّتي .

وأنشدني لنفسه بالريّ سنة أربعين وأربعمائة :

جعلتك منك يا سكاني ملاما ... وجئتك عائداً إذ لا مَعَاذا .

وهديك قتلّاتني فيقال : عبيد ... حنى المولى عليه فكان ماذا .

وأنشدني له :

منعت طيفها الزيارة رِيّاً ... واختلاف الرياح إهداء رِيّاً .

ولو أنّ الأحباب أنجم ليل ... لم بجو أن تكون فيه الثُّرِيّاً .

ومن أبكار معانيه قوله :

ما شانني حبس وما ضرني ... ما جرّ من حادث إقناري .

جرّ بني الدهر بأحدثه ... تجربة الياقوت بالنار .

وأنشدني له أيضاً C تعالى :

صنع العذار بخدمه عجباً ... بثّ الدخان وأضرم اللّهيباً .

بدأ الكتابة ثم أدركه ... ضعف اليقين بها فما كتب .

وكأنّما شقّ الشقيق على ... ذاك العذار قميصه طرّبا .

أدّى مثال الصدغ عارضه ... كحكاية المرأة ما قرّبا .

أبو المحاسن إسماعيل بن حيدر العَلّوي .

كان خبر هذا الفتى يتضامى إليّ وأسمع أنه قد نبغ وانّ قميص فضله قد سدغ وهو في

ريعان صباه سبق القاضي حيدراً أباه . فكنت أقترح على الأيام أن تكحلني بطلعته فأقف

على صديغته كما وقفت على صنعته . حتى اتفق حُصولي بالريّ في ديوان الرسائل بها .

فكنت أنتظر أنه إذا سمع بي قصدي إما مفيداً أو مستفيداً . فلما تراخى عني وتنفّست

على استبطائي إياه مدّة مديدة قلت في نفسي : لعلّ له عذراً وأنت تلوم . وتعرّفت خبره

. فزعموا أنه صاحب عُراس منذ أسبوع يكاد تنفجر عليه عين الفضل بينبوع . فكتبت إليه

أعوده :

عجّل برّاء إسماعيلاً ... وجلاه الشفاء عضباً ثقيلاً .

لا يرو عنه الذّبول فقدماً ... قد حمدنا من القنّاة الذّبولا .

ونسيم الرياض لا يكتسي الصحو ... حة إلا بأنّ يهبّ عليلاً .

وحمل إليه أبوه القاضي حيدر هذه الأبيات وهو لما به مستعدّ لمآبه فكتب إليّ ببنان

يرتعش وقلمٍ لا يكاد ينتعشُ بيتين تمثّل بهما وهما : .
رَمَتَنِي وَسْتَرَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... وَنَحْنُ بِأَكْنَافِ الْحِجَازِ رَمِيمٌ .
فَلَوْ أَنَّهَا لَمَّا رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا ... وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمٌ .
وَإِنطَفَأَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَاعَةٍ وَفِي قَلْبِي مِنْهُ حَسْرَةٌ أَتَجَرَّعُهَا وَلَا أَكَادُ أَسِيغُهَا . وَفِي الْعَيْنِ
عَبْرَةٌ أَحْلَبَهَا مِنَ الشُّؤُونِ ثُمَّ أُسِيلَهَا . فَمِمَّا أَنشَدَنِي لَهُ أَبُوهُ قَوْلُهُ : .
طَبِّبْ يَا نَسِيمَ الرِّيحِ نَشْرًا ... وَانشُرْ خَبَايَا الْأَرْضِ نَشْرًا .
فَعَسَى تُعِيدُ حَشَاشَةَ الْإِل ... مَهْجُورٍ مِنْ رِيَّالِكَ نَشْرًا .
سَقِيَا لِمَعْهَدِكَ الَّذِي ... عَهْدِي بِهِ يَهْتَزُّ بِرِشْرَا .
يَا حَبِذَا مَاءُ الْعُذَيِّ ... بِي إِذَا سَقَى الْأَنْضَاءَ عَرَا .
وَلَجَلَّ خَطْبًا أَنْ تَنَا ... زَعَانَا الْوَحُوشُ إِلَيْهِ حَشْرَا .
وَقَوْلُهُ فِي صِفَةِ السَّيْفِ : .
لِيَعْلَمَ الْعُرْبُ وَالْعُجَيْمُ مَعًا ... أَنْزَا عَلَى الْحَادِثَاتِ فِتْيَانُ .
مِنْ مَعْشَرٍ مَا أَظَلَّ هَامَهُمْ ... فِي الْمَجْدِ إِلَّا طَبِيَّ وَتِيْجَانُ .
أَوْلَيْكَ السَّادَةُ الْأُلَى شَرَفَتْ ... مَغَارِسُ مِنْهُمْ وَأَعْصَانُ .
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يُجَلَّلُ مِنْ هَامَةٍ ... قِرْنِي أُغْرُّ عُرْيَانُ .
يُضِيءُ مَا أَظْلَمَ الْبَهِيمُ كَمَا ... يَضْحَكُ وَالِدْمَعُ مِنْهُ هَتَّانُ .
كَمْ قَلْتُ إِذْ شَامَهُ الْكِفَاحُ لَنَا : ... إِنَّكَ يَا مُشْرِفِي فَتَّانُ .
أَلَا فَيُؤِيدِي فُتُورُ جَفْنِكَ لِي ... أَنْزَكَ بَيْنَ الْقِرَابِ يَقْظَانُ .
وَمِنْهَا : .
سَقِيَا لِأَيَامِنَا الَّتِي سَلَفَتْ ... وَالِدَهْرُ مُغْضِي الْجُفُونِ وَسَنَانُ .
حَتَّى إِذَا قَرَّتِ الْعُيُونُ بِكُمْ ... عَلِمْتُ أَنَّ الزَّمَانَ غَيْرَانُ .
فَلَجَّ حَتَّى تَقَازَفَتِ بِكُمْ ... عَلَى مَطَايَا الْفِرَاقِ غَيْطَانُ .
فَمَا صَرَمْتُمْ تَصَارِمْتُ لَكُمْ ... مِنْذُ بَوَصْلِ السُّهُادِ أَجْفَانُ .
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :